تفريغ محاضرة رقم (٤)

- دورة قضية العذر بالجهل (الدورة المكثفة) -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،،

نكمل كلامنا مع العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير.

إحنا طبعاً عارفين أن أهل التكفير على قسمين:

١- في قسم بيكفر بالمعاصي ودول أخلاف الخوارج، من القدامى والمعاصرين، وده إحنا يعني الحمد لله يسر الله الجواب على شبهاتهم، جملةً وتفصيلاً في يعني دورات قبل كده.

٢- إنما إحنا هنا بنُعنى بالكلام على من لم يكفر بالمعصية، لكنه يكفر بمكفر آخر، والمآل واحد، ده هيستحل دماء المسلمين، وده هيستحل دماء المسلمين، وده هيثير الفوضى في المجتمعات وده هيثير الفوضى في المجتمعات، لكن طبعاً دول أخف وطأةً ممن يكفر بالمعصية، عشان يبقى هنا الحق يُقال، فهو في الشر خيار كما يقول القائل، أحسن الله إليك.

هنا بنقول بقى في مقطع، بيقول فيه هنا الشيخ: قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كشف الشبهات تعليقًا على هذه القصة، قصة إيه؟ ذات أنواط، وصلتوا للكلام ده؟ عندك حكم التبرك؟ إقلب صفحة بس، بعد حكم التبرك، حكم التبرك، شوف عنوانه فين في الفهرس

عندك وبعدين هات الكلام وبعدين قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كشف الشبهات، قال تعليقًا على هذه القصة، قصة ذات أنواط، قال: وهذه القصة تفيد أن المسلم بل العالِم يقع في أنواعٍ من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه من أكبر الجهل.

بعض الناس الجهلة يقول لك: إحنا عارفين ربنا كويس، إحنا عارفين التوحيد مش هتيجوا تعرفونا التوحيد، نقول: هذا جهل ولا يعرفوا أي حاجة.

وهذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنُبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ، وتفيد أيضاً أنه لو لم يُكفر، فإنه يُغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول الله، وده اللي إحنا وضحناه دلوقتي.

هنا بقى الشيخ بيعلق بيقول: وهذا الأخير هو معنى قوله على هذا الباب في كتاب التوحيد في المسألة السابعة: أن النبي لم يعذرهم بالجهالة، في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ ابن عبدالوهاب اللي إحنا شرحناها في أول دورة مكثفة في هذه الرحلة المباركة بحول الله وقوته.

قال: وفيه أن النبي لم يعذرهم بالجهالة، يعني إيه لم يعذرهم بالجهالة؟ طبعاً الجماعة اللي هو يعني مستني أي حاجة يكفر بها؛ أهو لم يعذرهم يبقى كفرهم، إحنا قلنا لم يعذر مش بتساوي كفر، تمام؟ بدليل أنه الأصحاب ذات أنواط مش كفرة، ولا أتوا ما يرتدون به لإنهم جهلة حدثاء عهد بكفر، إنما النبي لم يإيه؟ لم يعذرهم بالجهالة يعني عنفهم، وأغلظ عليهم في القول، تمام؟

يقول: وهذا الأخير هو معنى قوله على هذا الباب في كتاب التوحيد في المسألة السابعة أن النبي لم يعذرهم، يعني بالجهالة، بل رد عليهم بقوله: (الله أكبر إنها السُنن، لتتبعن سَنن من كان قبلكم) فغلظ الأمر بهذه الثلاث:

١/ (الله أكبر) التكبير.

٢/ (لتتبعون سَنن من كان قبلكم) تشبيههم بالجهال من أهل إيه؟ بني إسرائيل.

٣/ وبعدين (إنكم قومٌ تجهلون).

قال: وظاهر قول المصنف في كشف الشبهات: أنه يجعل المسألة من الشرك الأكبر، تمام؟ وهم لم يكفروا لأنهم جهال، وحدثاء عهد بالشرك، وهذا الذي رجحه الشيخ حامد الفقي رحمه الله وهو الصحيح الظاهر، حتى ولو كان طلبًا من غير فعلٍ كما يقول البعض، لأن طلب الكفر والعزم عليه في المستقبل ولو لم يفعله؛ وإن كان فعله أشد كفرٌ.

يعني هنا في جملة مش عارف عندكم ولا لا؟ كفرٌ.

ولقد حلف النبي ﷺ على مساواة هذا القول بقول من قال: (إجعل لنا إلاهًا)، ولا شك أن هذا القول (إجعل لنا إلاهًا) كفرٌ أكبر، تمام؟

قال: وهذا النقل الصريح من كشف الشبهات يوضح لك مذهب الشيخ في مسألة العذر بالجهل، وهو عدم التكفير، إذا كان الشخص مثله يجهل ذلك، حتى في مسألة أو مسائل التوحيد خلافًا لمن يتوهم خلاف ذلك، وقد صرح رحمه الله في رسائله وأبناؤه من بعده بذلك، حيث يقول في إحدى رسائله، وبينقلها بواسطة مِنهاج الحق والإعتدال والرسالة مطبوعة ضمن مؤلفات الشيخ ابن عبدالوهاب، طبعتها جامعة الإمام ابن سعود المجلد الرابع، بيقول: وان كنا لا نكفر؛ دا كلام ابن عبدالوهاب، وإن كنا لا نُكفر من عبد الصنم الذي على قبر البدوي من العوام، يقصد عَبد يعني إيه؟ فعل ما هو عبادة مش صرح بالعبادة، لإن التصريح بالعبادة ما فيهوش كلام، واحد بيقول: أنا بأعبد فلان، طب أنت هتقول له إيه بقى؟ إنما بيقول لك: لأ إحنا ما بنعبدهمشي، يعني دول ناس طيبين وناس كويسين، وإحنا بنحب النبي وبنحبيهم يعني وبنقدرهم، دي غير دي خالص طبعاً.

يقول ابن عبدالوهاب رحمه الله: وإن كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر البدوي من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يُكَفِر ولم يقاتل؟! سبحانك هذا بهتان

عظيم، ونفس النص لحفيده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، كما نقله الشيخ بن حجر البوطامي في كتابه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية، نقلًا من تاريخ نجد، وهذا كله موافق لمذهب السلف في هذه المسألة الشائكة، وإليك بعض الأدلة والقول في ذلك:

قول الله عز وجل: (وأوحي إِليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)، فمن بلغه القرآن فهو المُنذَر، ومن لم يبلغه أو شيء منه لم تقم عليه الحجة فيه.

وقال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) والآيات في هذا المعنى كثير.

حديث أبي هريرة: (والذي نفسي بيده) ومر بنا، اللي هو: (لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني إلا كان من أصحاب النار)، أنا بقول لك الفرق بين الكافر الأصلي في إقامة الحجة يكفيه مجرد بلوغ خبر النبي وبس، ولو مشوهًا، عشان بأجيب لك من الآخر خالص أهو، لإن واحد بيقول: أصل الجماعة الناس الكفرة دلوقتي اللي يسمعوها إن الإسلام دي الإرهاب، والإسلام دين مش عارف إيه؟ هو كده يبقى كده وصل لهم حاجة؟ هو ده الحق اللي ربنا بعث به النبي؟ طب ما هو ربنا قال: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون)، ما هي هياها، كانوا بيقول لهم ده راجل حلو وعليه سكر؟ كانوا بيقولوا عليه: كافر وجاهل وفَرَق بين أولادنا وفيه وبيه، ولا تستمع له وأوعى تيجي هنا ثاني، ويعاقبُ أشد المعاقبة على مجرد النية على سماعه، ده اللي هم عوام الكفار ومع ذلك كان بعضهم بيجاهد لحد ما يوصل للنبي، صح ولا إيه؟ وربنا لم يعذرهم بهذه الإيه؟ الشوشرة الإعلامية الموجودة، ما عذرهمش، فنفس المسألة؛ الشوشرة الإعلامية الموجودة الآن عند الامريكان ولا عند الأوروبيون لا يُعْذَرُون بها في إنهم لا يعرفون الدين الحق، لأنه مش مطلوب منهم يعرفوا تفاصيل، إشهد أن محمدًا رسول الله، إشهد أن لا إله إلا الله.

وعلى فكرة: أدلة الوحدانية في الجملة في الفطرة، وفي العقل، وفي الكون المنظور، والكتاب المستور القرآن، أوضح من شمس النهار، لا لها علاقة بالإرهاب ولا بالكباب، أدلة صدق نبوة النبي محمد ﷺ والإطلاع على سيرته ومعجزاته ودلائله أوضح من شمس النهار،

تقول له: تفجير، تقول له: داعش، ما كل دا ما يعكرش على صفو سيرة النبي ﷺ، وإحنا مش طالبين منهم أكثر من كدا، يبقى الكافر الأصلي المطلوب منه الشهادتين بس، ما قلتلوش الشهادتين وتعالى شيل راية سوداء وإمش وراء داعش، ما قلتلوش أنا كده ، ما قلتلوش الشهادتين وتعالى نقب مراتك، ولا إلتحي، ولا قصر هدومك لنصف ساقيك! أنا ما قلتلوش كده، أنا بأقول له إخرج من ظلمات الكفر إلى نور التوحيد الذي تقره الفطرة التي في داخلك، فطرتك جعانة توحيد، هو أنا بأجيب لك حاجة أنت مش محتاجها، ولا في غنى عنها؟ عقلك يعني يلتجئ إلتجاءً إلى التوحيد، لكن هو الكبر والعناد، (وجحدوا بها وإستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا).

إنما المسلم الذي وقع في شركية أو تفاصيل، محتاج إقامة حجة تفصيلية ليه؟ لأنه ذهلت عليه تفصيلية، مش ذهل عليه التوحيد جملةً، عشان أقول له كفاية أنه سمع خبر النبي، ما هو ما الراجل مع النبي، هو النبي قال للنبي لأ؟ هو النبي قال للتوحيد لأ؟ هو النبي قال لعبادة ربنا أنا هعبد الصليب ولا الحجر ولا الشجر؟! حاشا لله، الراجل بيعبد ربنا، تمام؟ ولما تيجي تقول له كذا؛ ويقول لك: أنت هتكفرنا حرام عليك يا عم الشيخ، لإن الكفر عنده حاجة صعبة، هو لا يحبه أصلا، واضح؟

إنما الثاني إنشرح بالكفر صدرًا، والكفر حلو قوي وعليه عسل، وليس في الإمكان أحسن مما كان، هجيب ده زي ده، يعني هتجيب المسلم الذي (يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)، زي الذي شَرَح بالكفر صدرًا، ده ميزان مين ده؟

يبقى الكافر الأصلي لا يحتاج في إقامة الحُجة إلا إلى البيان الإجمالي، لأنه مطلوب منه أصل الدين مش أكثر من كده، والمسلم الذي أقيم الذي وقع في شركيات ولو عقدية، ولو توحيدية، ولو تصادم أصل الدين لكنها تفاصيل تغيب على مثله، محتاج كلام كثير عشان تقرب له المسألة، لإن هو مش معتقد إنها من الدين أصلًا.

ولذلك حصلت مناقشة بيني وبين ولد من بتوع التكفير برضو، ده في ٢٠٠٣ إحنا بقى من خمسة عشر سنة أهو، تمام؟ فأنا بأقول له سؤال بسيط جدًا، جاوبني على رجل عمره في

حياته ما خطر على باله أن يذبح لله على سبيل النسك والقربى أبدًا، الذبح بالنسبة له بيذبح عشان يأكل وبس، يعني مش مُدرج عنده في ملف العبادات الذبح لله تقربًا، هي صلاة، صوم، زكاة على قدنا كده، إنما ذبح عبادة، يعني إيه أذبح عبادة دي؟ إحنا بنزغط البطة طول السنة عشان نذبحها في المولد، ولا عشان دكرين حمام نوديهم للبت في الفرح! هو ده الذبح بالنسبة لنا! ولا نروح عند الجزار على السيبيا نقطع كيلو ولا نص إيه؟! هو ده أخرنا كده في الذبح! إيه اللي دخله في العبادة دي! ده راجل كده! وبعدين راح ذابح للبدوي! ده تعبد البدوي؟ تعبدوا منين الناحية؟ هو أصلًا ما عبدش ربنا بالعبادة دي، يبقى إزاي لما صرفها للبدوي تبقى عبادة؟ فقال لي: طب أديني وقت أرد، قلت له: عايز قد إيه؟ قال لي: سيبني يومين بس أو ثلاثة أرد، سبت له يومين ثلاثة أربعة أسبوع، وراح جايب لي ورقة قد تذكرة القطر كده مكتوب عليها: راجع القاعدة الفلانية من كتاب الفروق للقرافي، قلت له: أنا أجيبه منين كتاب الفروق للقرافي؟ ما ترد إن كان عندك رد، إحنا في السجن أهو، أجيب لك كتاب الفروق القرافي منين ناحية؟ هو إحنا لاقيين مصحف؟ تقول لي: فروق للقرافي، الله يقرفك البعيد، ده حاجة صعبة والله، قلت لهم: تمخض الجمل فولد فأرًا، بعد ٤٨ ساعة بحث جاب لي قصقصة ورق قد تذكرة القطر، وراجع فيها قاعدة، طب ما تقولها لي قاعدة، ما تكتبها لي، أدي الرد اللي عنده، وتوتة توتة خلصت الحدوتة، بعد مناهده أيام وليالي، ليسوا على شيء والله، هي تعطرسة دماغ والسلام، وكبر، (إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) معظمهم كده حقيقي يعني.

ما شوفتش حد منهم قريب الطبيعة كده إلا واحد، أشهد له بحق، في الأسكندرية هو قريب أخ من الأخوة، ومكفر صوابع يديه ورجليه، مش عاتق حد، فهو بيجي يرازي قريبه في الإسكندرية، ده أصلًا من الصعيد، بييجي عند زميله في الأسكندرية ده كل صيف كده، يقعد يومين ينزل البحر وهو مكفره، يعني هو الأخ ما شاء الله صاحب سنة وصاحب ديانة أخ سلفي، اللي هو الضيف، الثاني بييجي عنده، قريبه أخو إمرأته، ولا مش عارف عم إمرأته، يعني من جملة محارم أهله يعني، فالراجل بكل أدب رغم أن هو بيتكفر من خلال المزعج ده؛ فاتح له بيته على الصفين وبيقعده عنده، طبعاً بقى هو ليل ونهار ونهار وليل يقول له:

السكة بتاعتك دي غلط، قال له: الدليل وناقشني والحجة، فربنا كرم قعدنا مع بعض، قال لي: عايزين نقعد مع بعض في واحد كذا كذا، تقعد معه؟ قلت له: أقعد معه، بس بيفهم؟ قال لك: أدي إحنا هنحاول معه، بس هو مؤدب وطيب وراجل دين جداً، ونفسه يعني بيقول: يا جماعة أقيموا علي الحجة، إذا كان عندكم حجة قولوها لي، بفضل الله سبحانه وتعالى أتوعدنا مع بعض في منطقة العصافرة في الأسكندرية، وحيطان المسجد تشهد بفضل الله، صلينا الفجر في المسجد أنا والأخ، وهو طبعاً ما بيصليش في مساجد الجاهلية، ولا في مساجد الضرار، صلى لوحده في الشقة وجه حصلنا يعني قبيل الشروق بشوية ثلثين ساعة كده، ساعة إلا شوية، قعدنا مع بعض وبدأنا نتكلم، قلت له: نتكلم بصراحة ونخلص في الموضوع؟ قال لي: بصراحة الصراحة، قلت له: ما حدش شايفنا غير ربنا أنا وصاحبك والحيطان بس ما فيش حد ثاني بعد كده.

طيب بدأنا نتكلم، المسألة فلانية جوابك فيها إيه؟ يقول لي الجواب، قلت له إكتبه، إكتب جوابك، يقول لي: ما أنا قلت لك إجابته، قلت له: إكتبه والكراسة معك والكشكول، عايز الكشكول أجيب لك كشكول كمان، يكتب الجواب، قلت له: إقرأه كويس، يقرأه، قلت له: قدامك ثلاث دقائق تراجع نفسك لو عايز تشطبه إشطبه ثاني، بيقول: أنا غلطان، قال: لأ الجواب أنا متأكد منه، آخر كلام؟ قال لي: آخر كلام، قلت له: الرد على هذا الكلام واحد إثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة، إكتب يا فلان، كتب الجواب، قلت له إيه رأيك؟ قال لي: كلام صح، اللي بعدها، كل كلمة أزنقه الزنقة دي، إكتب، يا عم ما خلاص فهمنا، قلت له: أنا ما بفهمش إلا كده، إكتب، عشان ما تجيش تقول لي: مش قصدي، أصل أنت ما سمعتنيش، أصل أنا قلت دي قبل دي، إكتبه بإيدك، وراجعه مرة وإثنين، وابن عمك ولا قريبك شاهد عليك أهو، بفضل الله عز وجل ورحمته صلينا الشروق مع بعض، وروحنا صلينا سلمنا على الشيخ ياسر في المسجد، وباس رأس الشيخ ويده، وتاب إلى الله وأناب، في ساعة، لإنه عايز يفهم، قلت له: أنت مع المتاعيس دول بقى لك قد إيه؟ قال لي: ١٨ سنة في الغم ده، ورب سبحانه وتعالى نجاه في ساعة، لإن ده عاوز يوصل لنتيجة.

إنمـا الثـاني المقـرف قعـدنا فـي وادي النطـرون شـديد الحراسـة عشـر شـهور، مصـبحني وممسيني في وجه بعض، وما تتحتحش أبدًا غير بالورقة اللي هي في الآخر دي، وبوريها على كده، ما هو ده كبر، ما فيش، هو ما عندوش أي رد في أي حاجة.

فالمهم يعني الموضوع فعلاً أزمة نفسية عند هؤلاء الناس بصورة ليست باليسيرة.

طيب هنا بقى بيقول لي إيه بقى؟ حديث إحنا رحنا فين؟ حد يذكرني بالموضع؟ حديث أبـي هريرة عدى علينا.

يبقى إحنا بنقول الذي لم يبلغه خبر النبي ولو كان كـافرًا أصـليًا ولـو لـم يبلغـه خبـر النبـي إلا مشوهًا فلا عذر له عند الله، لأنه زيه زي مشركي مكة في الأول، تمام؟

قال: وعن أبي هريرة أن النبي قال: كان رجل، من أدلة بقى إثبات العذر بالجهل، (أن رجلًا كان يسرف على نفسه) يعني عامل معاصي الدنيا كلها، (فلما حضره الموت، قال لبنيـه: إن أنا مت فأحرقوني)، ولعوا في جثته كلها، (ثم إطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لإن قدر الله علي ليعذبني عذابًا شديدًا أو ما عذبه أحدًا، فلما مات فُعِل بـه ذلك) نفذوا الوصية ولعوا فيه، طحنوه، وبدروا شوية في البحر وشوية في البر، (فـأمر الله الأرض فقال لهـا: (إجمعـي ما فيكِ)، ففعلت، فإذا هو قائم)، ربنا وقفه ثاني، (فقال له: (ما حملك على هذا؟)) ليـه عملت كده ؟ (قال: خشيتك يا رب)، خائف منك يا رب، خائف أقابلك، طب أنت بتعمل كده ليـه ؟ عشان يبقى البعث بعد الموت صـعب، مـا تعرفش ترجعنـي ثـاني، عشـان أروح مـا أجيش، طب ده كُفر ولا إسلام ده؟ هذا شك في قدرة الله، ما هو عمال يصعبها على ربنا.

شيخ الإسلام بيقول رحمه الله تعالى: فهذا رجل شك في قدرة الله جل وعلا، الإمـام الشـافعي رحمه الله في موضع آخر يقول: لله تعـالى أسماء وصـفات جـاء بهـا كتابـه، وأخبـر بهـا نبيـه أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لا يسع أحدٌ ردها، لإن القرآن نـزل بهـا وصـح عن رسـول الله القول بهـا، فيمـا روى عنـه العدول، فـإن خـالف ذلك بعد ثبـوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجـة عليـه فمعذور بالجهل، لإن علم ذلك لا يُدْرَك بالعقول أو بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، ولا يُكَفَّرُ بالجهل بهـا أحدٌ إلا بعد إنتهـاء الخبـر إليـه

بها، وتثبت هذه الصفات، وينفى عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى، أو إيه؟ ويثبت هذه مش وتثبت، ويثبت هذه الصفات وينفي عنه سبحانه التشبيه، كما نفى التشبيه عن نفسه، فقال تعالى: (ليس كمثله شيء).

الإمام الخطابي هيشير لنا على حتة كان بعض الأخوة كان سألني فيها في مسألة مانعي الزكاة والقصة بتاعتهم، لإن طبعاً شائع بين الناس أن مانعي الزكاة إسمها حروب الإيه؟ الردة، فقال لك: بس حلو أهو بقى، يبقى على بعضها كده اللي يسيب حاجة يبقى مرتد، نقول له: لا لا لا، الموضوع فيه تفصيل، ومش إحنا اللي هنفصله، ده كلام الإمام الخطابي، ونقله بنحو لفظه عن الشافعي في الرسالة رحمه الله، يعني مش جايبه من الشارع الخطابي، بيقول هنا إيه؟ قال الخطابي رحمه الله بعد أن ذكر أن مانعي الزكاة على الحقيقة أهل بغيٍ مش كفار: مانعوا الزكاة في زمن أبي بكر والذين قاتلوا عليها وحاربوا جيش الإسلام في في زمن أبي بكر، أهل بغيٍ مش كفار، بيقول إيه بقى؟ فإن قيل كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذكرت؟ وجعلتهم أهل بغي، إزاي عملت كده؟ جبت الكلام ده منين؟ وهل إذا أنكرته طائفة من المسلمين في زماننا، أو إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وإمتنعوا عن أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي؟ قلنا: لا، فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان، زمن الخطابي، فكان كافرًا بإجماع المسلمين.

والفرق بين هؤلاء وأولئك انهم إنما عُذِروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان، زي إيه؟ منها قرب العهد بزمن الشريعة، الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ، ومنها أن القوم كانوا جُهالا بأمور الدين، وكان عهدهم بالإسلام قريباً فدخلتهم الشبهة فعذروا، فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام وإستفاض في المسلمين عُلِم وجوب الزكاة، ما حدش دلوقتي يقدر يقول الزكاة مش فرض، إنما ساعتها كان ممكن لإن الدنيا كانت لسه مش مستقرة، لسه النبي ميت بقى له كم شهر، ولا كم أسبوع، والدنيا إنقلبت، وخذ بالك بقى أن أهل الردة كانوا أقسام، وده كلام الإمام الشافعي اللي نقله عنه الخطابي، ونقله عنه ابن الإمام

الشوكاني في نيل الأوتار وغيرهم من المحققين، عشان يدي لك صورة تفصيلية لمشهد تاريخي.

ما هي الإشكالية: أن الإجمال سبب عظيم حدوث الإشكال، أن أنت المشهد تأخذه على بعضيه كده من غير تفاصيل، وترتب أحكام على الإجمال والكعبلة دي.

بنقول: أن أهل الردة في زمن النبي أقسام، مش كلهم عملوا نفس الجريمة بنفس الدرجة، فمنهم من لحق بعبادة الأوثان، رجع ثاني لمناة والعزى وهُبل وأبو لهب والجماعة دول، تمام؟ ومنهم من إتبع أدعياء النبوة، هو ساب الأوثان خالص، وقال: أنا موحد، بس النبي بتاعه الأسود العنسي، النبي بتاعه طُليحة، النبي بتاعه سجاح، أو النبية، النبي بتاعه مسيلمة الكذاب، وشلة الإيه؟ المجرمين دول، وقالوا: إحنا مسلمين بس النبي بتاعنا ده، كل واحد عمل نبي بقى محلي، ما هو كان بيشغلوها محليات بقى مش إنترناشيونال، سيب النبي العالمي ده إحنا عايزين نبي ابن الجهه أولى بها، يبقى بتاعنا كده مع بعضنا وحلو علينا كده، فدول طائفة غير الثانيين، دول سكة ودول سكة، دول سكتهم في الشرك، ودول سكتهم في الكفر بالنبوات، ده باب وده باب، تمام؟

طيب؛ وطائفة جحدت فرضية الزكاة، قالوا: بلاها زكاة من أساسه أصلًا، ليه يا جماعة؟ قالوا: ما هو أصل إيه؟ حط عقلك في رأسك كده، إديني عقلك، هو ربنا بيقول: (خذ من أموالهم صدقة)، ليه؟ (تطهرهم وتزكيهم بها)، وإيه؟ (وصلِ عليهم)، ليه؟ (إن صلاتك سكنٌ لهم)، هو مين ده؟ النبي، قال: طب هو مين اللي صلاته سُكن لنا من بعد النبي؟ من دا اللي يستأجئ أن يحط رأسه برأس النبي ولما تدي له الزكاة هتبقى صلاته سكن لنا، مين ده بقى؟ ولا حد، يبقى خلاص، اللي راح راح بقى، والنبي مات والموضوع إنقفل، الزكاة دي كانت على قد النبي كده وخلاص، فجحدوا فرضية الزكاة، رغم أن هم بيشهدوا أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وخاتم النبيين، وأن أدعياء النبوة كذابين كلهم، مشكلتهم فين؟ في الإمتناع من فريضة الزكاة بجحد فرضيتها، وناس بقى اللي هم في الدرجة الخفيفة خالص قالوا: لأ الزكاة فرض الله عز وجل، بس عض قلبي ولا تعض

رغيفي، الزمن دلوقتي واللي يعوزه البيت يتحرم على الجامع، وبتاع، والعيال والمش عارف كذا؟ والدنيا غلا، لا يا عم كل واحد يخلي فلوسه في جيبه، ما حدش يديه لحد حاجة، منعوها بخلاً بها، دي طوائف، تمام؟

والشرع النبي قال إيه؟ قال: (ومن منعها بخلًا بها فإنا أخذوها منه عزمه، وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا)، طب أنت هتروح وتأخذ من واحد نص فلوسه إزاي؟ تخبط على الباب تقول له: هات نص فلوسه يديها لك، ولا تشد له السلاح؟ قتال، يبقى فيه قتال بخلاء بالزكاة، وفيه قتال مانعين للفرضية من أساسه، وفي قتال أدعياء نبوة، وفي قتال وثنيين، كل دول كانت حرب واحدة، طب هو أبو بكر الصديق كان مقسمهم كتائب ليه؟ أيوة عشان أنت لك برنامج قتالي مع أدعياء النبوة، تخلص معهم بالبرنامج بتاعك، وأنت لك برنامج مع عبدة الأوثان تخلص معهم بالبرنامج بتاعك، الإثنين دول زي بعض، أتباع أدعياء النبوة، وأتباع عبدة الأوثان، دول مرتدين، يُجهز على جريحهم، ويتبع فارهم، وتقسم أموالهم، وتسبى غنائمهم، زيهم زي أي حد، من الجماعة الكفار الحربيين.

الثانيين بقى اللي هم مانعي الزكاة هم دول قِتال الطائفة الممتنعة من فريضة من فرائض الدين، وبرنامج القتال هنا غير برنامج القتال هنا، هنقفز قفزة في الكلام عشان ما نطولش.

بيقول: ملخص أو نخلص من هذا الكلام النفيس الحسن للإمام الخطابي رحمه الله بعدة فوائد:

أولًا: تفاوت الظهور والخفاء بالنسبة لأحكام الشريعة، مش كلها زي بعضها، من زمن إلى زمن، مش كل الأيام زي بعضها، ومن قوم إلى قوم، اللي في دولة دي غير الدولة دي، الدولة دي فيها شغل والدولة دي نايمين في الخط، الدولة دي فيها دعوة وفيها بصيرة وفيها شغل وفيها إعذار إلى الله بأداء الأمانة، والدعوة الثانية الناس نايمة على ظهرها ولا حد بيعمل حاجة، النتيجة هنا زي هنا؟ تفرق.

والعبرة في ذلك بإنتشار العلم وإستفاضته في العامة، مش تقول: الحمد لله الإخوة عندنا معهد، وكده إحنا أقمنا الحجة، زي الثاني بيقول إيه؟ هو أنت عايز تقيم الحجة على الناس

ليه؟ الناس متمكنة من العلم وفي كل مكان الـface مال الدنيا معلومات والإنترنت، تقول: الفيس والإنترنت، هنقيم الحجة على الناس بالفيس والإنترنت؟! طب ممكن تديني الأكونت بتاع الحاجة؟ والله قلت له كده، قلت له ممكن تديني الأكونت بتاع الحاجة، الحساب بتاع الحاجة على الفيس، قال لي: طب تيجي، قلت له: الله! ما أنت بتقول لي مش كل الناس عندها أقيمت الحجة بالفيس، أمك عندها فيس؟! أمك أنت في بيتك أنت عندها فيس؟! هتقول للناس الغلابة اللي أصلًا ما عندهمش تليفون أرضي فيس إيه يا أبو! أنت عايش في فين أنت! في المريخ! فيس ايه! مش تعيشوا في الواقع! بقول لك: ناس خارج المجرة بيفكر في الدنيا برة خالص! الله المستعان!

الفائدة الثانية من كلام الخطابي: أن المُجمع عليه نوعان، مش كله زي بعضه، المجمع ثوابت الشريعة، نوعين؛ المجمع عليه نوعان:

أحدهما: ما إنتشر علمه في الأمة وهو الذي لا يُعذر أحد بتركه، كل الناس عارفاه، من أول شيخ الأزهر لحد تجار البانجو، كلهم عارفينه زي بعض، حرمة الزنا، حرمة الخمر، وجوب الصلوات، نبوة النبي، قبلتنا الكعبة، إلاهنا رب العالمين الذي في السماء، بس، كلنا في الهواء سواء زي بعض، أو في الخير سواء، تمام كده ؟ يبقى أدي نوع من أنواع المسائل المُجمع عليها، إنتشر علمه بين الناس، لا يُعذر أحد بالتأويل فيه، يعني إيه بالتأويل؟ واحد بيقول لك: أنا كنت بأحسب النبي بتاعنا البابا شنودة، يا سلام! يقول: أصل حسبتها غلط، ده كلام غير مقبول، لا يقبل في مثل هذا الإيه؟ التأويل، تمام؟ واحد يقول: لا لا لا أنا كنت بحسب موضوع الصلاة ده كان مثلاً من عشر سنين فاتوا، وبعد الثورة الموضوع إتغير يعني، نقول له إتغير إزاي؟ إيه اللي هيغير الصلاة بعد الثورة يعني؟ أه ما الدنيا إتغيرت بقى، ما فيش صلاة بقى، أنت بتهبل! ده كلام مرفوض تماماً، يقول لك: أصل أنا متأول، متأول! جحد الصلاة قبل الثورة بعد الثورة، ما لوش معنى الكلام ده، تمام؟ لإن هذا أمر معلومٌ لدى العامة والخاصة.

الثاني من المجمع عليه: يعني أحكام ما فيهاش كلام بس غامضة، مش مشهورة، ما لم ينتشر علمه فيُعذر المخالف في عدم التكفير، لا في إستحقاق العقوبة، يعني يُزجر؟ أه يزجر، يتقال له كلمتين في جنابه؟ يتقال له، يُعاقب ويُعزر وممكن يسجن تأديباً حسب الجريمة بقى والمخالفة، تمام؟

يقول الثاني: ما لم ينتشر علمه فيُعذر المخالف في عدم التكفير لا في إستحقاق العقوبة لإن مانعي الزكاة الموصوف حالهم عذروا في عدم التكفير، وهم مستحقون للعقاب في الدنيا، وأكبر عقاب أن أبو بكر قاتلهم مش عقوبة بالعصا ولا بالسجن، ده سحب إليهم الجيوش، وسبب ذلك يرجع إلى تقصيرهم في طلب العلم الواجب عليهم وعدم رجوعهم إلى العلماء من الصحابة، وفعل عمر في الرجل الذي زنا جاهلًا حرمة الزنا، ده خبر إسناده صحيح، ليس فقط جاهلًا بالحج ده ما عندوش خبر بحرمة الزنا خالص، عمر جلده تعزيرًا، يعني عاقبه لتقصيره في طلب العلم الواجب عليه، والرجل الذي زنا بجارية إمرأته، ظن أن أنا وإمراتي طبعاً طالما أن إحنا أهلية يعني والموضوع عادي يبقى مالك مالي وعبيدك عبيدي، طب هاتي لي بقى جواري وزنا بالجارية يظنها ملك يمين، لأ هي ملك إمرأتك مش ملكك أنت، فجلده ولم يرجمه رغم أنه محصن، ليه؟ لإن دا كلد تعزير، لإن الحد رجب في حق الإيه؟ المحصن.

النقطة الثالثة من الفوائد يقول: الأصل فيما إنتشر علمه بين المسلمين تكفير منكره، إلا أن تدل القرينة على عدم علمه، وما لم ينتشر علمه لا يُكفر أحدٌ فيه قبل قيام الحجة عليه، يبقى إحنا مش بنقول أن الجهل ده حاجة جميلة وحاجة حلوة، بنقول: ده عارض من عوارض الأحكام الشرعية، ده عذر من الأعذار التي شرعها رب البرية، يبقى الموضوع ما ليش أنا نسب بيني وبين الجهلة، ولا أنا فرحان بهم، ولا بقول لهم: ما تتعلموش دينكم يا جماعة، وإحنا في ظهركم ما تخافوش، لأ ما قلناش كده، إحنا ما زكناش للناس الجهل، الجهل مذموم، ده أنت لو قلت لأبو جهل يا جاهل هيزعل منك، وهو مين اللي بيحب الجهل يعني ولا بيحسنه للناس؟ ده أبو جهل نفسه لو جبت له إيه رأيك في الجهل يا ابو جهل؟ دي حاجة وحشة جدًا، مش ممكن حد يمدحه أبدًا، واضح؟

النقطة الرابعة: بيقول ذكر أهل العلم مسألة مهمة قوي، إن هم دائمًا لما يجيبوا سيرة العذر بالجهل يذكرون أصحاب البادية البعيدة، أو حدثاء العهد بالإسلام، يعني يقول إيه ؟ ومثل هذا يعذر بالجهل لأنه حديث عهد بإسلام، يعني لسة داخل في الدين جديد، أو مثل هذا يعذر بالجهل لبُعد باديته التي نشأ بها، فعلى ما الدعاة يروحوا له يكون قطع نفسهم، ما يكملوش الرحلة ويرجعوا ثاني، فما بيروحلوش حاجة، قال لك: لأ ما هو الكلام ده على رأسنا، وده موضع إجماع خذ بالك، لكنه ليس على سبيل الحصر، يعني النموذجين دول ما هماش حصر، ما تجيش واحد تقول: لأ أنا بأعذر بالجهل في اللي نشأ في بادية بعيدة أو يعني كان حديث عهد بإسلام، طب إشمعنى؟ إيه اللي لم الشامي على المغربي؟ إيه العلاقة بين الإثنين دول؟ ما فيش قاسم مشترك كده؟ يبقوا شبه بعض فيه؟ أه، اللي حديث عهد بإسلام عالم ولا جاهل؟ جاهل، واللي ساكن في آخر الدنيا في المريخ، ما فيش علماء بيروحوا له ولا حتى الحجر الرشيد وصل عندهم، ما فيش أي حاجة نهائي، ما يعرافوش يفكوا الخط، جهلة ولا متعلمين؟ جهلة، يبقى القاسم المشترك: الجهل، فحيثما حصل الجهل في الجديد، في البعيد، في القريب، في الغريب هو القصة دي، هو ده القاسم المشترك بين الإثنين، إن ده حديث عهد بإسلام لسه بيقول: يا هادي، لا راح ولا جاء، يبقى هنا أفاته الجهل، واللي في آخر الدنيا ما وصلوش معلومات آفاته الجهل، يبقى الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، متى تحقق الجهل في شخص أيًا كان اللي عمله يُعذر به، كده تمام؟

طيب هنا بيقول بقى الأدلة كثيرة بقى في المسألة دي، هننقل على كلام شيخ الإسلام على طول، بعد كلام قال ابن قدامة رحمه الله.

لكن قال شيخ الإسلام، بيقول: ونحن نعلم بالضرورة أن رسول الله ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعو أحدًا من الأحياء، ولا الأموات ولا الأنبياء ولا غيرهم، لا بلفظ الإستعانة، ولا بلفظ الإستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لهم السجود لميتٍ، ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه ﷺ نهى عن ذلك كله، وأنه صلوات الله عليه عفوًا، وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الدين، ده كلام لسه عن شيخ الإسلام، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يُبَيَن

لهم ما جاء به الرسول، شوف بقى كلام شيخ الإسلام في رده على البكري كلام عجيب وغريب.

وقال في الرد على البكري رحمه الله، قال إيه؟ ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية، الجهمية الحلولية اللي بيقولوا: ربنا موجود في الحيوانات والزبالة والشجر والحجر والنساء والرجال والطهارات والنجاسات دول، كان بيقول لهم إيه؟ بيقول: وكنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش، يقول لهم إيه؟ أنا لو وافقتكم كنت كافرًا، دا دول بيقول: للقضاة والرموز مش الناس، أنا لو وافقتكم كنت كافرًا لأني أعلم أني قولكم كفر، وأنتم عندي لا تُكَفَرون لأنكم جهال، يبقى دائمًا نقول: العامة بقى الغلابة اللي عند الحسين ولا عند السيدة ولا عند السيد، بقول لك: هو بيقول للرموز للقادة الفكريين، أنا لو قلت مقالتكم لكفرت لكنكم عندي جهال، والإمام أحمد كان بيقول لقضاة المحنة كده، لرموز، لابن أبي دؤاد وشلته، اللي بيناظروه وبيجلدوه، قال: لو قلت مقالتكم لكفرت، لكنكم عندي جهال، فأنت مستصعب عليك تقول لست بياعة فجل في السوق: إنك معذورة بالجهل، عشان روحتي المولد ولا عشان ذبحتي خروف للسيد، ولا حلة نابت للسيدة، ولا علقتي مندولين عند أم هاشم، أنتم اللي على النفسية العدائية دي ليه؟ النفسية العدائية أن أنت تبقى حرب على أمتك، وحرب على عامة المسلمين ليه؟ مين المستفيد بها؟

بيقول: وقال في الرد خلاص كده.

وبهذا النقل الواضح عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي مسائل أصول العقيدة، وفي توحيد الألوهية والأسماء والصفات تعرف خطأ من قال: إن العذر بالجهل مقصور على المسائل التي قد تَخفى، زي إيه يا فضيلة الباشا؟ قال: زي مسائل المعاملات، ليه؟ أصل هو بيأمن نفسه، ما هوش عارف حاجة في المعاملات، عشان ما تكفروش، ولو عملت له إمتحان في في الإستنجاء مش هيرد، مش في معاملات، بيقول لك: لأ هو العذر بالجهل مثلاً في الشركات، في البيوع، في المواريث، الحاجات اللي هو ما ذاكرهاش يعني، هو بيأمن نفسه مش بيدافع عن العقيدة ولا الشريعة؟

زي واحد من إياهم برضه بس كان عيل صغير ده كان على السريع كده، الإخوة بيقولوا لي: فلان الفلاني ده شاب بيكفر الدنيا، مكفر أمه وأبوه، ومكفر الجيش والشرطة، ومكفر المدرسة والمعهد، مكفر الدنيا كلها، ليه يا إبني؟ قال لي: عشان التوحيد هم جُهال بالتوحيد، قلت له: أنت عارف التوحيد؟ قال لي: أه عارف التوحيد، قلت له: لو سألتك أي سؤال في التوحيد هتجاوب؟ قال لي: أه، فقمت سأله سؤال في الصفات؛ قام مبلم، قلت له: هو توحيد الصفات ده مش توحيد؟ قال لي: توحيد، قلت له: طب وأنت عارف؟ قال لي: أه، قال لي: لا، قلت له: تبقى كافر ولا مسلم؟ قال لي: كافر، قلت له: لا يا إبني ما أنتش كافر ولا حاجة أنت غلبان جاهل ما تعرفش، إيه اللي كفرك يا إبني؟ ما هو مزنوق مش عارف يرد، قال لي: كافر، قلت له: يا إبني كافر إيه يا إبني! أنت عارف حاجة! يا إبني قم، قم يا حبيبي صلِ العصر ربنا يصلح لك الحال، كافر إيه يا إبني! بس هو إيه اللي كافر؟ حقك علي معلش، حاجة عجيبة والله، شغل عجيب والله.

طيب؛ يبقى هنا؛ تعلم خطأ من قال أن العذر بالجهل مقصور على المسائل التي قد تخفى، كمسائل المعاملات وبعض شؤون الصلاة، وكذلك من يجعل الناس في مجاهل إفريقيا ونحوها ممن دخل في الإسلام، وأتى بشيء من هذه الشركيات معذورًا بمعنى أن حكمه حكم أهل الفترة، فترة إزاي؟ أومال اللي دخل في الإسلام ده وراح دعاه وعلمه فترة منين؟ وربنا يقول: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا)، يعني كل جهود الدعوة في إفريقيا دي لسه مخلياهم أهل فترة برضه، ده أنت اللي من أهل الفترة، تمام؟

بل المنصوص عليه من كلام أهل العلم التفرقة بين من دخل في الإسلام وصَدَق الرسول إجمالًا، وبين من لم يدخل فيه أصلًا، حكم أهل الفترة في اللي ما دخلوش في الإسلام أساسًا، عاشوا وماتوا كفار، وبعثوا كذلك، تمام؟

فالأول عنده أصل الإيمان ده اللي دخل في الإسلام ده، حتى وإن أتى بشركياته.

والثاني كافر معذور يعني بالعقوبة الدنيوية، إن ربنا مش هيعاجله بعقوبة دنيوية ولا هيدخله في النار إلا بعد الإمتحان زي ما قلنا، والثاني كافر معذور لعدم بلوغ الرسالة، وقد أوضحنا

أن خفاء الأمور وظهورها نسبي، تمام؟ ولا نقصد بأن هذا الأمر نسبي أن كل الأمور كذلك، بل هناك ما يقطع كل أحد بإنتشاره بين المسلمين، والذي لا يقبل دعوى الجهل أو لا تُقبل دعوى الجهل فيه إلا بقرينة كما أوضحنا.

فمن كان ناشئًا اليوم في بلادنا ثم جحد وجوب الصلاة مثلًا، أو قال عن أحكام الإسلام أنها من نفايات القرون الوسطى الوحشية، أو قال بحِل الزنا والخمر، فلا شك في ردته من ساعته، لإن الحجة بمثل ذلك قائمة على كل أحد، عرفت العلة في التكفير؟ إن الموضوع كل الناس عارفاها، فأنا لما أجي أقيم الحجة هأقول إيه؟ ما هو ليس في الإمكان أحسن مما كان، ما هو فاهم كل حاجة.

وهكذا مسائل عبادة القبور في بعض البلاد كالمملكة العربية السعودية، الولد وهو في kg1 بيحفظ كتاب التوحيد زي ما أنت حافظ الفاتحة، والأعراب والبياعين والبنجلاديش والباكستان بيحفظوهم كتاب التوحيد، إحنا عندنا أئمة الأوقاف، مش عارف أي حاجة في التوحيد، يعني واقف على المنبر عمال يعجن، الناس اللي تحت.

إذا كان رب البيت بالدف ضاربٌ فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

يعني اللي واقف على المنبر عمال يعجن فوق، الناس المساكين اللي تحت هتقول إيه؟ والله الذي لا إله غيره أهو ربنا خده، وراح أسأل الله أن يشعل عليه قبره نارًا، ده واحد من أئمة الأوقاف، إزاي تقول كده على واحد؟ أهي ما أنا شوف اللي جاي أهو، كان بيقف أيام عيد الأضحى؛ اللي الناس الطبيعي خالص يعني هيتكلموا بقى في زيارة النبي وصفة الحج والعمرة وزمزم بقى يا جماعة وبعودة الأيام كلام حلو، وقف بكل تناحة وبجاحة على المنبر، ويقول للناس بكل برود: إذا كان الله شرع لنا في هذه المواسم الطواف بالأحجار، يعني كعبة، فالطواف بالسادة الأطهار الأبرار من باب أولى، على المنبر! وما بيستخباش بالكلام، ده هذا مستفيض عنه، أهو ده لما جاء لي خبر موته كنا معتكفين في المسجد، قمت موسع الإخوة وساجد لله شكر، قلت لهم الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، عقبال الباقي، أه والله، هو برضه نفس الشخص في قرية ثانية وإستفاض، أهل جمعة اللي بيقولوا لي مش

واحد ولا إثنين، الناس اللي صلوا معه الجمعة؟ بيحكي لهم حكاية إن واحد طلع أيام الإستسقاء، تمام؟ قعد يدعي يدعي ما فيش حاجة، والناس يصلوا ويروحوا، يصلوا ويروحوا، ما فيش ولا نقطة ماء ندعة ماء بتيجي من السماء، طب وبعدين؟ الراجل طلع عند جبل المقطم في مصر هنا، ده حكاية شعبي يعني داخلية، فوجد واحد قسيس، هو الشيخ بيقول على المنبر، وجد واحد قسيس قام مطبق يديه ورافعهم ناحية السماء كده، السماء قالت: خذ عندك مطرة، قال له: إمسك مش سايبك تقول لي إيه الموضوع؟ قال له: أقول لك على السر بس تخليه بيني وبينك؟ قال له: إتفضل، قال له: أنا توسلت لربنا بتراب من قبر الحسين، هو اللي نزل لنا المطر، أهو ده توسل شركي أصغر، إيه رأيك؟ شوف بقى المجعلص إزاي؟ الثانية أصعب منها، وما خفي كان أعظم، ده اللي بنقال على المنبر، أومال اللي بينقل المحاسيب بقى، والناس اللي قاعدين بقى اللي هم فاهمين سر الطبخة، بيقول لهم إيه؟ حاجة عجيبة وغريبة والله الذي لا إله غيره.

النقل ده ما أعرفش إن كان صحيح ولا لأ؟ واحد قاعد في مجلس بيقول: يا رب، قال له: نعم، فضيلة الشيخ الأزهري في الأوقاف، مش أنا بقول لك: ربنا خذه؟ الله لك الحمد، ربنا يريح البلاد والعباد من بقية الطائفة، حاجة صعبة، جرأة، وبعدين عينه جامدة ما بيتكسفش، وسمعة ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أسود من قرن الخروب، ويقف على المنبر ويقول للناس: أنا حرامي، وبنط على أسطح الدور، واللي مش عاجبه ما يصليش معي الجمعة، كده أهو، ما هو أنا بقول لك؛ هو ما ليس بعد الكفر ذنب، هو الراجل بيتكلم في تأصيل عبادة الموت على المنبر، جاي أنت زعلان عشان بيقول للناس: أنا حرامي، إيه يعني؟ أنا شايفه بعيني متكلبش في يد العسكري مرة وإثنين وثلاثة، أهو أنتم مستبشعين الأخيرة، مش عارفين تستبشعوا الأولى، الأولى أصعبها على الإطلاق، كُفر بَين، ده بينظر له على المنبر، يبقى يستحق بقى أصوم عشر أيام شكر لله بقى مش أسجد سجدة شكر ولا لأ؟ لما ربنا يأخذ الأشكال دي، أهي دي مصيبة والله، حرب على الله ورسوله وعلى دين التوحيد، البلد مليانة بلاوي، وأنت لولم تستقم على دعوى التوحيد، وتفهم القضية، وتفهم نوع الحرب التي بيننا وبين من نَظَر وقنن لعبادة الموتى، وعبادة الأحجار والأشجار، يبقى ما أنتش فاهم حاجة في

دينك، وقلت كثير قوي أن الدعوة مش مجرد إكسسوار، ومجرد عبارة ترف مسائل ترف فكري وعقلي، على مسألتين، على لايكين، على اثنين شيرنج، خلص الموضوع، الموضوع كبير والله، والله الموضوع صعب، الموضوع تبعة ثقيلة جدًا، وإن أنت دور النوم اللي أنت فيه، التخدير الإختياري ده مش هينتهي، إلا أن تستشعر مرارة الألم اللي إحنا فيه، وصعوبة الطريق، وفعلًا كثرة المحاربين للحق.

هنا شيخ الإسلام رحمه الله وهو لسه برضه بيدافع عن جُهال المسلمين رحمه الله، اللي بيقولوا عليه مكفراتي ورئيس التكفير، قال في كتابه الإيمان الكبير يعني، وهو يعني يقول: وهؤلاء يعني من معهم إيمان مجمل، وهؤلاء يثابون على إسلامهم، وعلى إقرارهم بالرسول مجملاً، وقد لا يعرفون أنه قد جاء بكتاب، يعني في ناس بتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وما عندهاش خبر عن القرآن أصلًا، ولأن النبي ربنا نازل عليه كتاب من أساسه، وشيخ المتطرفين ابن تيمية بيقول إيه؟ بيقول: وهؤلاء يثابون على ما بلغهم من إيمان، على قد اللي وصل لهم ربنا هيديهم.

وقد لا يعرفون أنه قد جاء بكتاب، وقد لا يعرفون أنه قد جاءه ملك، ولا أخبر بكذا، وإذا لم يبلغه أن الرسول أخبر بذلك، لم يكن عليهم الإقرار المفصل به، إزاي يبقى عليه الإقرار المفصل بمسائل توحيد ما وصلتوش أصلاً ولا هو جاء في باله إن النبي قالها قبل كده؟ هيأمن بها كده على ذراعه يعني؟ هيجيبها منين؟ وإذا لم يبلغه أن الرسول أخبر بذلك لم يكن عليهم الإقرار المفصل به، ولكن لابد من الإقرار بأنه رسول الله، وأنه صادق في كل ما أخبر به، دي كفاية علينا كده.

فانظر أخي الكريم كيف إفترض شيخ الإسلام هذا الفرض، تمام؟ البعيدة للغاية، الذي لا يكاد يوجد حتى في الكفار وهو عدم المعرفة بوجود القرآن، أو نزول جبريل عليه السلام، فضلًا عما يحتويه من العقائد، أي القرآن والأعمال، فأخبر أن من أقر مُجملًا بالرسول وصَدَّقه يُثاب على ذلك.

وقال أيضاً رحمه الله: وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمنًا بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرًا في الباطن، وإن أخطأ التأويل كائنًا ما كان خطأه، وقد يكون فيه شعبة من النفاق، ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، إلى قوله رحمه الله: بل قلبه جازمٌ أنه لا يخبر إلا بالصدق، النبي يعني، ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية أو الحديث أو يتدبر ذلك أو يُفَسَر له معناه، أو يظهر له بوجه من الوجوه، فيصدق بما كان مكذبًا به، ويعرف ما كان منكرًا له وهذا تصديق جديد، وإيمان جديد إزداد به إيمانًا، ولم يكن قبل ذلك كافرًا بل جاهلًا.

وقال ابن حزمٍ رحمه الله في الفِصل: وذهبت طائفة إلى أنه لا يُكفر ولا يفسق مسلم بقولٍ قاله في إعتقادٍ أو فُتيا، وأن كل من إجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجورٌ على كل حال، إن أصاب الحق فأجران، وإن أخطأه فأجر واحد، هذا قول ابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، والشافعي، وسفيان، وداوود بن علي، جميعهم وهو قول من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة، لا نعلم منهم في ذلك خلافًا أصلاً، إلا ما ذُكر من إختلافهم في تكفير من ترك الصلاة متعمدًا، شوف الأصعب اللي جاية.

وقال أيضاً: وكذلك من قال أن ربه جسم، فإن كان جاهلًا أو متأولًا فهو معذور ولا شيء عليه، ويجب تعليمه، فإن قامت عليه الحجة من القرآن والسنة فخالف ما فيهما عنادًا فهو كافر، يُحكم عليه حكم المرتد.

وأما من قال: إن الله عز وجل هو فلان لإنسان بعينه، أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه، أو أن بعد محمد نبياً غير عيسى عليه السلام، فإنه لا يختلف إثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بهذا أو بكل هذا على كل أحد، ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم عليه الحجة، عايز إيه أكثر من كده كلام؟ يعني الراجل يقول لك إيه تاني؟ ولو أمكن أن يوجد أحدٌ يدين بهذا، بهذا اللي هو إيه؟ أن الله هو

فلان، أو أن الله يحل في أجسام مخلوقاته، تمام؟ عايز إيه ثاني بعد كده؟ أو أن الله بعث نبيًا بعد ﷴ غير عيسى بن مريم، ده كفر بَيِن.

إيه؟ دي مش فاهمة يعني إيه؟ لو فرضنا أن إنسان بلغ به الجهل بعد ثبوت الإسلام به، إن يوصل للعقيدة المهببة دي لجهله يبقى معذور برضه حتى تقام عليه الحجة، لو تصورنا الجهل ما هو عشان إن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، وُجد الجهل أهلًا وسهلًا ما وجدش خلاص، وجد الجهل المتصور فعلًا، إنما واحد بيكذب عليك، أصل أنا ما أعرفش، لأ ما تنفعش تقول لي ما تعرفش، إنما لو فعلًا تصورنا إن زيه ممكن يحصل فيه كده.

والله يا شباب ده فيه ناس، والله الذي لا إله غيره شباب طول بعرض بلماضة، مش فاهم أي حاجة في أي حاجة، أنا دايمًا أضرب مثال بالشباب المتخدرين، يعني الشاب اللي قاعد بقى له أربع سنين مبرشم فاصل، أربع سنين ليل ونهار، بيقسم لي بالله على المصحف مرارًا أنه قعد أربع سنين ما فاقش ساعة لا صاحي ولا نايم، يعني في غيبوبة تامة، قال: في أربع سنين حياتي كده مشطوبين، ما أعرفش عنهم أي حاجة، طب إزاي يا إبني؟ ما هو أنت بتنام وبتصحى بتفوق! قال لي: ما هو أنا قبل ما أنام بأروح مفرط عشر حبايات وبالعهم، بيقول لي: بأكل حبوب، مش بأخد، بأكل، يعني الحبوب البرشام المخدرات أكل بالنسبة له، بيمسك الشريط عشر حبات يفضيهم ويقرقشهم ويشرب نص كوباية ماية، وقبل ما ينام حاطط شريط ثاني يقوم من النوم يقرقش عشرة ثانيين، ده قايم نايم فاصل، ما فيش، مش من هنا، زي الدابة كده، مدة الأربع سنين ده ممكن يقول: كفر وضلال مبين، ويفعل جرائم الدنيا كلها كم مرة؟ ما تعد، ما هو بهيمة أهو، ما بيأكل ويباشر شهوته وخلاص، ما لوش أي دور في الحياة، وده عايش في وسط بلادنا مش في المريخ، ده ممكن يكون في الجدار اللي لازق في المسجد، وأنت تقول لي: تمكن من العلم، يا عم الناس مغيبة، تمكن إيه الله يهديك؟

عيشوا على الواقع اللي إحنا فيه، الناس مش هنا خالص والله، والله إحنا في أزمة شديدة فعلًا، أنا مش عارف، أنا خايف لربنا يحاسبني على الناس دي كلها، والله لا هنروح ولا

هنيجي ولا هينفع كل اللي بتعمله ده، إلا أن يشاء الله، كلام خطير خالص، الشباب ضايع، ده أنا بأكلمك في ناس لسه يعني بصحتها، اللي بقى عنده سبعين سنة وثمانين سنة ومائة سنة وما بيعرفش يكتب إسمه أصلاً، ولا جرب يكتب، ده يعرف إيه عن ربنا ولا عن النبي ولا عن القرآن ولا التوحيد ولا الدليل وما بيصليش؟ وهتقول لي بقى: ما بيصليش الجمعة! ما ركعهاش، فيه مين ده قد إيه؟ ما يتعدوش، كثير جدًا، ما هماش مجانين ولا متخدرين وموجودين، وفي بطاقته مسلم، وبيحب الإسلام اللي ما هوش عارف عنه أي حاجة، ده ممكن يحصل منه قد إيه من الضلالات والإنحرافات والشركيات؟ أنتم ليه منفصلين عن الواقع؟ ما هي دي مشكلة بقى الإمعان في إخراج جيل أزرق بتاع الفيسبوك، من سكان العالم الأزرق، مفصولين تمامًا عن الدنيا، بيحاربوا في كوكب ثاني، الدنيا بتضرب تقلب في الدور اللي تحتيه، في بادروم عمارته اللي ساكن فيها، في إمام مسجده اللي بيصلي بالناس مش فاهم حاجة، وصاحبك بيحارب في المريخ، مش هنا خالص، وعمال يقول لي: أردوغان وتركيا، وتركيا والأناضول يا عم حلها في العزبة الغربية، يا سيدي حلها عند محطة القطار، يا عبد الله سُكان شرعك اللي على عتبة البيت مش من هنا، أنت عايش في عالم ثاني لحد متى؟ الإنفصال الغيبوبة اللي أنت فيها دي من غير برشام، هتفضل فيها لحد متى؟ والله حرام، والله حرام، لو ربنا عاقبنا بهؤلاء الناس لا هنروح، لن تقوم بنا أعمال إلا أن يشاء الله، والله لو دوبت معاهد الدولة بحالها علم وشهادات وأنت سايب الناس ما بتروحش ولا بتيجي، ده مش هينفعك، إلا أن يشاء الله عز وجل، الأمر خطير، الأمر خطير ربنا يصلح لنا وإياكم من الأحوال.

قال: والمقصود بالجهل عند أهل العلم الجهل الناشئ عن عدم البلاغ.

ابن حزم ثاني بيقول: وقال قائلهم أي المخالفين له في مسائل التكفير: فإن عذرتم المجتهدين إذا أخطأوا فأعذروا اليهود والنصارى، قال وبتوع التكفير فاكرين نفسهم بقى إيه؟ يعني عيال جاب دي بقى بص الصاعقة، ابن حزم قايلها من ٦٠٠ سنة كم؟ ألف سنة، ابن حزم من علماء القرن الخامس، وقال قائلهم: فإن عذرتم المجتهدين إن إخطأوا فأعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر المِلل، فإنهم أيضاً مجتهدون قاصدون الخير، فجوابنا وبالله

التوفيق؛ أننا لم نعذر من عذرنا بأرائنا، ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا، وهذه خطة لم يؤتها الله تعالى أحدًا دونه، ولا يُدخل الجنة والنار أحدًا، بل الله تعالى يدخلها من يشاء، فنحن لا نسمي بالإيمان إلا من سمى الله تعالى به، كل ذلك على لسان رسوله، ولا يختلف إثنان من أهل الأرض، لا نقول من المسلمين، بل من كل ملة أن رسول الله قطع بالكفر على أهل كل ملة غير ملة الإسلام، الذي تبرأ أهله من كل ملة حاشا التي أتاهم بها عليه الصلاة والسلام فقط، فوقفنا عند ذلك، ولا يختلف إثنان أيضاً في أنه عليه الصلاة والسلام قطع بإسم الإيمان على كل من إتبعه وصدق به وبكل ما جاء به، وتبرأ من كل دين سوى ذلك، فوقفنا عند ذلك ولا مزيد، فمن جاء بنصٍ بإخراجه عن الإسلام بعد حصول إسم الإسلام له أخرجناه منه، أجمع على خروجه أو لم يجمع، طبعاً دي من مآخذ على ابن حزم رحم الله في مسألة الإجماع.

وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام، يعني يقصد بإن النص مقدم على الإجماع يعني، وكذلك من أجمع أهل الإسلام على خروجه عن الإسلام فواجبٌ إتباع الإجماع في ذلك، وفيما سبق كله يتبين أن مقصود العلماء في معنى العذر يتنوع، فمنه ما يكون عذرًا كاملًا؛ بمعنى لا إثم عليه ولا تكفير، ولا يستحق صاحبه عقابًا لا في الدنيا ولا في الإخرة، وهو من لم يقصر في طلب العلم الواجب عليه، بل بذل وسعه وإجتهد في معرفة الحق بنفسه أو بسؤال أهل العلم، سواءً كان هذا في مسائل الأصول أو الفروع، وإن كان هذا قليلًا في مسائل العقيدة، وكثيرًا في مسائل العمل والفروع حسب إنتشار العلم.

ومنه ما يكون عذرًا في عدم التكفير لا في الإثم وإستحقاق العقاب في الدنيا والآخرة، كما قال العلماء في عُذر مانعي الزكاة والخوارج مع كون الصحابة قد إتفقوا على قتالهم، وذلك بسبب التقصير في طلب العلم الواجب، وهؤلاء هم الذين دخلوا في الإسلام ثم خالفوا الحق المقطوع به وقامت القرينة عليه.

ومنه ما يكون عذرًا في الآخرة مع بقاء حكم الكفر على صاحبه في الدنيا، والتقسيم اللي إحنا كنا عاملينه من شوية، وهم من أهل الإمتحان وهم الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام ولم تبلغهم الدعوة.

ومنه ما لا يكون عذرًا أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، كمن أعرض عن فهم الحق بعد بيانه، سواءً كان مرتدًا أو كافراً أصليًا يسير على الباطل تقليدًا لأبائه أو الأحبار والرهبان، ومثل هذا لا تقبل فيه دعوى الجهل، اللي هم الكفار الأصليين اللي هم ماشيين وراء قياداتهم، وماشيين وراء رموزهم الدينية، وأحبارهم ورهبانهم، يقول لك: ما هم دول جهلة، يقول لك: لأ، لإن ده كافر أصلي، تمام؟ ومثل هذا لا تقبل فيه دعوى الجهل، لقيام الحجة فيه على كل أحد بإنتشار علمه بين المسلمين، وانتفاء القرينة على عدم بلوغ الحجة له.

كَسَبِ الله ورسوله، ده نموذج ثاني، يعني واحد دلوقتي يجي يقول؛ يسب ربنا سبحانه وتعالى، ويجي يقول: أصل أنا جاهل حكم المسألة، لأ ده كلام غير مقبول، هذا كافر من فوري على طول، ظاهرًا وباطنًا، ولا يحتمل إيمانه في الباطن أبدًا إلا في حالة العوارض بقى، أنه يكون سكران مجنون، حد ضربه على دماغه وجاب له توهان وبيخرف، إنما واحد بيتكلم قصدًا من غير ضغط، من غير إكراه، عمال يسب في ربنا ويسب في النبي، هذا كافر من غير إشكال، لا نزاع فيها دي، وإن كان مسلمًا يرتد بذلك، تمام؟

يقول: ومثل هذا لا تقبل فيه دعوى الجهل لقيام الحجة فيه على كل أحد، بإنتشار علمه بين المسلمين، وإنتفاء على عدم بلوغ الحجة.

طب سؤال أختبرك؛ لو واحد قال: أنا عارف أن سب الله حرام بس مش كفر يعني، يُعذر بالجهل ولا لأ؟ وما نوع الجهل الذي يزعمه؟ إتفضل، لا يعذر لإن ده جهل، لو كان صادقًا فهذا جهل بالعاقبة، مش جهل بالحكم، يكفيهن أن الله حرم هذا، إنما قد إيه؟ ما يلزمناش، وأنا ضربت مثال زمان، قلت الجماعة اللي هم بيجهلوا بالعاقبة، يعني مثلاً مثلًا مثلاً واحد عايش في مصر؛ وفي غياب القانون الشرعي، وإن لو واحد مش عارف جابوه من شقة يلفوه في ملاية ويزفوه، وممكن مش عارف بكم جنية خمسين جنية يأدوهم لبتاع المحضر

يـروح مفـركش لـه الموضـوع، راح بسـلامته وراح فـي السـعودية مـثلاً، أو فـي بلـد تقـيم الشريعة، وطبعاً راجل أجنبي ومش هيعتقوه، أنت عارف بقى المسألة تفريق بين الأمراء والوزراء والناس الغلابة ولاد البطة البيضاء والسوداء، ده موجود يعني، لكن هم أحلو الشرع عليه بقى، وراحوا ماسكينه قالوا له: أنت متجوز؟ أه، كنت بتعمل إيه؟ بيزني ببنت فلبينية خدامة معه ولا شغالة معه في المزرعة، جابوه يرجموه، يقول لهم: أنا ما أعرفش الموضوع كان لحد كده، هو أنا كنت أظن أن هم قفايين على مش عارف خمسين، قال: لا عندكم أنتم الكلام ده، خمسين جنيه وقفايين، هتترجم لما روحك تطلع، هل يعذر بمثل هذا؟ لأ، وطبعاً أهل العلم والإيمان لو في دولة إسلام مش هيلفوا بقى على البارات والخمارات، يدرسوا فقه الحدود لبتوع البرشام ويدرسوا فقه الدعارة، فقه الحدود لبتوع الدعارة، مش هيحصل كده، هنعمل لك معاهد في المواخير بتاعتك عشان نعرفك الأحكام التفصيلية؟! لأ طبعاً.

فهنا بنقول: يبقى إنتفاء القرينة على عدم بلوغ الحجة له كسب الله ورسوله، والإستهزاء بهما أو الإستهزاء بالجنة والنار، أو إلقاء المصحف في القاذورات عمدًا ونحو هذا.

كده إنتهى ما أعده الشيخ الله تعالى ونفع به من تعليقات مهمة على كتاب التوحيد في بحثه الموسوم بفضل الغني الحميد في قضية العذر بالجهل ونحوها في مسائل التوحيد.

ونسأل الله عز وجل أن يتقبلنا واياكم في الصالحين.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً